جامعة الوصل
ALWASL UNIVERSITY

دولة الإمارات العربية المتحدة
جامعة الوصل – دبي
كلية الدراسات الإسلامية

مجلة المؤيل

متخصصة في الدراسات الإسلامية
مجلة علمية محكمة سنوية

العدد الثاني
1445 هـ - 2023 م

دولة الإمارات العربية المتحدة
جامعة الوصل – دبي
كلية الدراسات الإسلامية

مجلة الموئل

متخصصة في الدراسات الإسلامية

مجلة علمية محكمة سنوية

1445 هـ – 2023 م

ISSN: 3005 - 4044

المشرف العام

أ. د. خالد توكال

نائب مدير جامعة الوصل لشؤون البحث العلمي

رئيس التحرير

أ. د. زياد علي دايح الفهداوي

نائب رئيس التحرير

أ. د. حمزة المليباري

أمين التحرير

د. عماد التميمي

هيئة التحرير

د. شريف عبد العليم

أ. صالح العزام

جامعة الوصل في سطور

«جامعة الوصل» مؤسسة جامعية من مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي في الدولة، وقد تحوّلت بموجب قرار وزاري رقم (١٠٧) لعام ٢٠١٩، من «كلية الدراسات الإسلامية والعربية» – الاسم السابق – إلى: جامعة الوصل.

وقد مرت الجامعة بمرحلتين أساسيتين:

المرحلة الأولى:

نشأت النواة الأساسية للجامعة سنة ١٩٨٦–١٩٨٧م بمسمى «كلية الدراسات الإسلامية والعربية»، عند تأسيسها من السيد جمعة الماجد وتعهدها بالإشراف والرعاية مع فئة مخلصة من أبناء هذا البلد آمنت بفضل العلم وشرف التعليم.

- رعت حكومة دبي هذه الخطوة المباركة وجسّدها قرار مجلس الأمناء الصادر في عام ١٤٠٧هـ الموافق العام الجامعي ١٩٨٦ / ١٩٨٧م.
- وبتاريخ ٢ / ٤ / ١٤١٤هـ الموافق ١٨ / ٩ / ١٩٩٣م أصدر معالي سموّ الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان وزير التعليم العالي والبحث العلمي في دولة الإمارات القرار رقم (٥٣) لسنة ١٩٩٣م بالترخيص لها بالعمل في مجال التعليم العالي.

١- برامج البكالوريوس:

- صدر القرار رقم (٧٧) لسنة ١٩٩٤م في شأن معادلة درجة البكالوريوس في الدراسات الإسلامية والعربية بالدرجة الجامعية الأولى في الدراسات الإسلامية.
- ثم صدر القرار رقم (٥٥) لسنة ١٩٩٧م في شأن معادلة درجة البكالوريوس في اللغة العربية الممنوحة بالدرجة الجامعية الأولى في هذا التخصص.
- اُعتمد برنامج بكالوريوس علوم المكتبات والمعلومات عام ٢٠٢٠.
- احتفلت بتخريج الرعيل الأول من طلابها في ٢٣ شعبان ١٤١٢هـ الموافق ٢٦ / ١٢ / ١٩٩٢م تحت رعاية صاحب السمو الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي رحمه الله.
- واحتفلت بتخريج الدفعة الثانية من طلابها والأولى من طالباتها في ٢٩ / ١٠ / ١٤١٣هـ الموافق ٢١ / ٤ / ١٩٩٣م.
- تخرج منذ تأسيسها في العام الجامعي الأول في ١٤٠٦ / ١٤٠٧ هـ الموافق ١٩٨٦ / ١٩٨٧م إلى نهاية عام ٢٠٢٢–٢٠٢٣ (١٢٨٩٧)؛ منهم (١٠٢٤٩) طالبة و (٢٦٤٨) طالبًا.
- تخرج فيها حتى يونيه ٢٠٢٣ (٣٣) دفعة من الطلاب، (٣٢) دفعة من الطالبات في تخصص الدراسات الإسلامية (١٦) دفعة من الطلاب، (٢٥) دفعة من الطالبات في تخصص اللغة العربية.

٢- برامج الدراسات العليا:

- أنشئ برنامج الدراسات العليا بها في العام الجامعي ١٩٩٥ / ١٩٩٦م يخوّل للملتحقين به الحصول على درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية واللغة العربية وآدابها، وشرع في برنامج الدكتوراه بدءًا من العام ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥م.
- اعتمدت بدءاً من العام ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨ برنامج الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها في شعبتي الأدب والنقد واللغة والنحو.
- وفي ٢٤ / ٢ / ٢٠١٧، يعلن مركز محمد بن راشد العالمي لاستشارات الوقف والهبة، عن منحها علامة دبي للوقف.

أعيد اعتماد برامج الماجستير والدكتوراه؛ فصارت الجامعة تمنح:

- درجة الماجستير في الدراسات الأدبية والنقدية.
- درجة الماجستير في الدراسات اللغوية.
- درجة الماجستير في الفقه وأصوله.
- درجة الدكتوراه في الفلسفة في الفقه وأصوله.
- درجة الدكتوراه في الفلسفة في الدراسات الأدبية والنقدية.
- درجة الدكتوراه في الفلسفة في الدراسات اللسانية.
- بلغ المجموع الكلي للخريجين والخريجات في الدراسات العليا الي تاريخ صدور العدد، إلى جامعة (٣٢٥) طالبًا؛ منهن (٢٢٠) خريجا بشهادة الماجستير و (١٠٥) خريجا بشهادة الدكتوراه.

المرحلة الثانية: تطورت من (كلية الدراسات الإسلامية والعربية) بقرار وزاري رقم ١٠٧ لعام ٢٠١٩، إلى (جامعة الوصل)، لتحمل عدة مُسْتجدات في:

الرؤية:

تطمح جامعة الوصل إلى أن تكون لبرامجها وقدراتها البحثية الصدارة إقليميًّا ودوليًّا.

الرسالة:

تقديم برامج غير ربحية ذات جودة عالية في البكالوريوس والدراسات العليا؛ لتأهيل كوادر متخصصة لسوق العمل المحلي والإقليمي، وتعزيز القدرات البحثية وتطوير التفكير الإبداعي وتنمية الشراكة المجتمعية في بيئة جامعية تتسم بالأصالة والحداثة والابتكار.

مجلس الأمناء:

يقوم مجلس الأمناء بالإشراف على الشؤون العامة للجامعة وتوجيهها لتحقيق أهدافها، ويضم المجلس إضافة إلى رئيسه (مؤسس الجامعة) عدداً من الشخصيات المتميزة التي تجمع بين العلم والمعرفة والرأي والخبرة، ممن يمثلون الفعاليات العلمية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية في دولة الإمارات العربية المتحدة.

كليات الجامعة: تشمل الجامعة الأتية:

- كلية الدراسات الإسلامية.
- كلية الآداب.
- كلية الإدارة.

نظام الدراسة:

- مدة الدراسة للحصول على درجة الإجازة (البكالوريوس) أربع سنوات لحاملي الشهادة الثانوية الشرعية أو الثانوية العامة بفرعيها: العلمي والأدبي أو ما يعادلهما.
- تقوم الدراسة في الجامعة على أساس النظام الفصلي وقد طُبق منذ العام الجامعي ٢٠٠١ / ٢٠٠٢، ثم تحول إلى نظام الساعات المعتمدة منذ العام الجامعي ٢٠٢١ / ٢٠٢٢.
- يلتزم الطالب بالحضور ومتابعة الدروس والبحوث المقرّرة.
- نظام الدراسة في الدراسات العليا، ومدة برنامج الماجستير سنتان والدكتوراه ثلاث سنوات، مع سنة تمهيدية متضمنة في كليهما.

البحث العلمي والخدمة المجتمعية: يهتم البحث العلمي بعدد من المحاور منها:

١– المؤتمرات: تقيم الجامعة عددًا من المؤتمرات العلمية المحكمة سنويًّا منها:

- ندوة علمية دولية في الحديث الشريف كل سنتين، وقد كانت ندوتها الحادية عشرة في مارس ٢٠٢٣.
- مؤتمر اللغة العربية الدولي، ويقام كل سنتين. وعقد المؤتمر الأول في ٢٠٢٠.
- مؤتمر الدراسات الإسلامية الدولي، ويقام كل سنتين.
- المؤتمر الدولي للدراسات العليا والبحث العلمي، ويقام كل سنتين. وعقد المؤتمر الأول في ٢٠١٩.
- المؤتمر الدولي للسانيات، يقام كل عامين، عقدت النسخة الثانية عام ٢٠٢٣.
- المؤتمر الدولي للسرديات، يقام كل عامين، عقدت النسخة الأولى في مارس ٢٠٢٢.

٢– المجلات المحكمة: تصدر جامعة الوصل ثلاث مجلات علمية محكمة، وهي:

- مجلة جامعة الوصل، تصدر مرتين كل عام.
- مجلة فكر ومعرفة، تصدر عن كلية الآداب مرة في العام.
- مجلة الموئل، تصدر عن كلية الدراسات الإسلامية، مرة في العام.

٣– الكتاب العلمي: تصدر الجامعة الكتاب العلمي، وله فرعان:

- الأول: الكتاب العلمي (مرجع دراسي)، وصدر منه ٣٢ كتابًا.
- الثاني: الكتاب العلمي (غير المخصص لأغراض دراسية).

٤– مشروع طباعة الرسائل الجامعية، تسهر الجامعة على طباعة الرسائل العلمية الجامعية المتميزة وتوزيعها مجَّانًا.

قواعد النشر

أولًا:

تنشر المجلّة البحوث العلمية باللغات العربية، والإنجليزية والفرنسية؛ تحريرًا أو ترجمةً، على أن تكون بحوثاً أصيلة مبتكرة تتصف بالموضوعية والشمول والعمق، ولا تتعارض مع القيم الإسلامية، وذلك بعد عرضها على محكمين من خارج هيئة التحرير بحسب الأصول العلمية المتبعة.

ثانيًا:

١. يراعى في البحث أن يتميز بالأصالة وأن يضيف إضافة جديدة للعلم والمعرفة، وأن يكون مستوفياً للجوانب العلمية بما في ذلك عرض الأسس النظرية والأهداف الخاصة من إجراء البحث والإجراءات المستخدمة في استخلاص النتائج وعرض النتائج والمناقشة.

٢. تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر في المجلة للشروط الآتية:

٣. ألا يكون البحث قد نشر من قبل أو قدم للنشر إلى جهة أخرى، وألا يكون مستلاً من بحث أو من رسالة أكاديمية نال بها الباحث درجة علمية، وعلى الباحث أن يقدم تعهداً خطياً بذلك عند إرساله إلى المجلة.

٤. تقبل البحوث التي تكون جزءا من رسالة جامعية لم تناقش بعد.

٥. لا يجوز للباحث أن ينشر بحثه بعد قبوله في المجلة في مكان آخر إلا بإذن خطي من رئيس التحرير، وإلا تكفل الباحث بسداد التكلفة المالية لتحكيم بحثه خلال الدورة التحكيمية.

٦. يراعى ضبط الآيات القرآنية وكتابتها بالرسم العثماني، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة، إن استشهد بها في البحوث.

٧. يُكتب البحث بمسافات (مفردة)، على ألا يقل عدد صفحاتها عن (٢٠) صفحة بواقع (٥٠٠٠) خمسة آلاف كلمة، ولا يزيد عن (٣٠) صفحة في (٧٥٠٠) سبعة آلاف وخمسمائة كلمة، وحجم الخط (١٦) نوع (Simplified Arabic)، وإذا زاد البحث عن (٣٠) صفحة، فعلى الباحث دفع تكاليف الطباعة للصفحات الزائدة؛ وهي (٥) دولارات عن كل صفحة.

٨. ترسل من البحث نسخة إلكترونية، وفق برنامج "Word ٢٠١٠" وتكتب أسماء الباحثين

باللغتين العربية والإنجليزية، كما تذكر عناوينهم ووظائفهم الحالية ورتبهم العلمية، بحسب كشف البيانات المرفق؛ وذلك (بغرض التوثيق الدولي).

٩. يُرفق مع البحث ملخص باللغة العربية (في حدود ١٢٠ كلمة) وآخر باللغة الإنجليزية (في حدود ١٥٠ كلمة)، ويتضمن على الأقل أهداف البحث وإشكاليته، ومنهجهُ وأهم نتائجه، وإسهامات البحث، وخمسة كلمات مفتاحية.

١٠. يُرفق بالبحث الترجمة الكاملة لقائمة المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية؛ وذلك بغرض التوثيق الدولي.

١١. ترقم الجداول والأشكال والصور التوضيحية وغيرها على التوالي بحسب ورودها في متن البحث، وتزود بعنوانات يشار إلى كل منها بالتسلسل نفسه، وتقدم بأوراق منفصلة.

١٢. يتبع المنهجية العلمية في توثيق البحوث على النحو الآتي:

- يشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة آليًّا توضع بين قوسين إلى الأعلى (هكذا:(١) (٢)) وتبين بالتفصيل في أسفل الصفحة وفق تسلسلها في المتن.
- تذكر ببوغرافيا(معلومات الكتاب) في أول ورد لها في البحث على النحو الآتي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، اسم المحقق (إن وجد) أو المترجم، دار النشر، بلد دار النشر، رقم الطبعة يشار إليها بـ (ط) إن وجدت، التاريخ إن وجد وإلا يشار إليه بـ (د.ت). أما بحوث الدوريات فتكون المعلومات على النحو الآتي: (اسم المؤلف، عنوان البحث، اسم المجلة، جهة الإصدار، بلد الإصدار، رقم العدد، التاريخ، مكان البحث في المجلة ممثلاً بالصفحات (من...إلى...).
- إذا تكررت بعد أول إيراد له يُكْتفَى باسم المؤلف وعنوان المصدر، فإن تكرر مباشرة في الصفحة نفسها يكتب: (المرجع نفسه)، فإن تكرر مباشرة في الصفحة اللاحقة يكتب: (المرجع السابق).
- يشار إلى الشروح والملحوظات في متن البحث بنجمة (هكذا:×) أو أكثر.
- تثبت المصادر والمراجع في قائمة آخر البحث مرتبة ترتيباً هجائياً بحسب اسم المؤلف يليه الكتاب والمعلومات الأخرى.

١٣. يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يطلبها المحكمون على بحثه وفق التقارير المرسلة إليه، وموافاة المجلة بنسخة معدلة من البحث، وتقرير عن التعديلات التي قام بها.

١٤. يحرص الباحث على تدقيق بحثه لغويًّا، ولا تقبل المجلة بحوثًا غير مدققة لغويًّا.

ثالثاً: الشروط الإضافية على البحوث المترجمة:

١. أن ترفق مع الترجمة المادة المترجمة بلغتها الاصلية.

٢. يرفق مع الترجمة ملخصان أحدهما بالعربية والآخر بالإنجليزية أو الفرنسية، على ألا يتجاوز كل ملخص (١٢٠) كلمة، مع الكلمات المفتاحية.

٣. تكون المادة المترجمة محكمة، أو منشورة في إحدى المجلات المحكمة، أو قد تكون جزءًا من كتاب محكم.

٤. لا يتجاوز عدد صفحاتها / ٢٠ صفحة / من الحجم العادي (A٤ ((٦٠٠٠ كلمة) ولا يقل عن / ٧ صفحات / .

٥. المحافظة على النص الأصيل وتفادي الاختزال ما لم يُشَرْ إلى ذلك وبهدف تحسين الترجمة.

٦. أن تكون الجمل مترابطة ومتماسكة وتخدم المعنى المقصود في المادة الاصلية.

٧. يذكر في أول إحالة في الترجمة اسم المؤلف الأصلي مع نبذة عن إسهاماته.

٨. تشتمل الترجمة على مقدمة في سطور تبين الأهمية العلمية للمادة المترجمة، وأهم النتائج المتوقعة

رابعاً:

١. ما ينشر في المجلة من آراء يعبر عن فكر أصحابها، ولا يمثل رأي المجلة بالضرورة.

٢. البحوث المرسلة إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

٣. يخضع نشر البحوث وترتيبها لاعتبارات فنية، بحسب خطة النشر.

٤. يحق للمجلة – عند الضرورة – إجراء بعض التعديلات الشكلية على البحوث المقبولة للنشر دون المساس بمضمونها.

٥. يحق للمجلة نشر البحوث المقبولة إلكترونيا، والمشاركة بها في قواعد البيانات والمواقع الإلكترونية.

٦. يزود الباحث بعد نشر بحثه بنسخة إلكترونية (PDF) من العدد الذي نشر فيه بحثه، ومستلة (PDF) لبحثه.

خامسًا: رسوم النشر:

- إسهامًا من مجلة الموئل في إثراء الحركة البحثية في دولة الإمارات العربية المتحدة بشكل خاص، وكل الأقطار العربية والإسلامية بشكل عام، فإن المجلة لا تحمل الباحثين أية رسوم، إلا ما سبق الإشارة إليه في بند (٧) ثانياً.
- ترسل البحوث وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة إلى:

رئيس تحرير مجلة الموئل
ص.ب. ٣٤٤١٤ دبـــي – دولة الإمارات العربية المتحدة
هاتف: ٠٠٩٧١٤٤١٢٨٧١٩ – فاكس ٠٠٩٧١٤١٢٨٧٨٠
أو البريد الإلكتروني: maoj@alwasl.ac.ae

الافتتاحية

بقلم: أ.د. زياد علي دايح الفهداوي

رئيس التحرير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين؛ سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الطيبين، وبعد؛

فيسر هيئة تحرير مجلة الموئل بكلية الدراسات الإسلامية- جامعة الوصل بدبي، إصدار عددها الثاني، وهي مجلة علمية محكمة سنوية، تُعنى بالدراسات الإسلامية، ويتألف هذا العدد من سبعة عشر بحثاً هي جزء من الأبحاث التي قدمت إلى الندوة الدولية الحادية عشرة لمركز بحوث السنة النبوية في جامعة الوصل بدبي- والتي جاءت بعنوان: (إنسانيةُ الإنسانِ في السنةِ النبويّةِ... قيمٌ كونيةٌ وضوابطٌ شرعيّةٌ) في (مارس ٢٠٢٣م).

سلطت الندوة الضوء على المنهجَ النبوي في ترسيخ وتوظيف المبادئ الإنسانية للمجتمع المسلم، القائم على التسامح والتعاون والتكافل، بما يضمن المساواة في الحقوق والواجبات لكل فردٍ من أفراد المجتمع الإسلامي؛ ليطبق القيم الإسلامية التي دعت إليها الشريعة الإسلامية، واعتنت السنة بتكميلها وتهذيبها ليس للبشر فحسب؛ بل حتى للحيوانات، كما في قوله ﷺ: «دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»[1].

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم (٤ / ١٣٠)، رقم ٣٣١٨، عَنِ ابْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا).

فينبغي أنْ تكون نظرتنا للإسلام نظرةً شاملةً تقتضي معاينة أهدافه ووسائله ومقاصده، وبالتالي فإنّ معرفة المقاصد الشرعية تقودنا إلى تحقيق فهم أعمق للدين، والتيسير على المُعسرين.

وقد قال ابن عاشور (رحمه الله): «إِنَّكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ فِي حَالِ الْأُمَمِ كُلِّهِمْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ لَا تَجِدُ شَرَائِعَهُمْ وَقَوَانِينَهُمْ وَأَحْوَالَهُمْ خَالِيَةً مِنْ إِصْرٍ عَلَيْهِمْ، مِثْلِ تَحْرِيمِ بَعْضِ الطَّيِّبَاتِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمِثْلِ تَكَالِيفَ شَاقَّةٍ عِنْدَ النَّصَارَى وَالْمَجُوسِ لَا تَتَلَاقَى مَعَ السَّمَاحَةِ الْفِطْرِيَّةِ، وَكَذَلِكَ لَا تَجِدُهَا خَالِيَةً مِنْ رَهَقِ الْجَبَابِرَةِ، وَإِذْلَالِ الرُّؤَسَاءِ، وَشِدَّةِ الْأَقْوِيَاءِ عَلَى الضُّعَفَاءِ، وَمَا كَانَ يَحْدُثُ بَيْنَهُمْ مِنَ التَّقَاتُلِ وَالْغَارَاتِ، وَالتَّكَايُلِ فِي الدِّمَاءِ، وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَهُمْ بِالْبَاطِلِ، فَأَرْسَلَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِدِينٍ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُخَلِّصَ الْبَشَرَ مِنْ تِلْكَ الشَّدَائِدِ»[1].

ولأهمية هذه الدراسات في الواقع المعاصر أخذت هيئة التحرير على عاتقها نشر هذه الأبحاث في عددٍ مستقلٍ، لتكون عونًا لزيادة إيمان المؤمنين، وارشادًا لغير المسلمين.

وتتقدم المجلة بأذكى آيات الشكر والتقدير للسادة الباحثين الذين أثرو المجلة ببحوثهم وللسادة العلماء الذين حكموا ودققوا بحوث العدد، ووجهوها توجيها سديدًا يتلاءم والمكانة العلمية لجامعة الوصل كواحدة من أقدم روافد العلم في دولة الإمارات العربية المتحدة.

١- (ابن عاشور، التحرير والتنوير:٩ / ١٣٧).

نبذة عن كلية الدراسات الإسلامية:

تُشرف كلية الدراسات الإسلامية على سير العملية التعليمية بالتنسيق مع الأقسام العلمية في الكلية، وتسعى إلى ترقية الأداء التعليمي، وتطوير الخطط والبرامج، وتحديث الطرائق والمناهج، وتقوم بمتابعة اللوائح والنظم المعمول بها في الجامعة وتطبيقها، وتنفيذ القرارات الصادرة عن إدارة الجامعة ومجلسها والتنسيق مع عمادة الدراسات العليا لمتابعة الجانب الأكاديمي في برنامجي الماجستير والدكتوراه، والتعاون مع عمادة شؤون الطلبة لمتابعة سير العملية التعليمية وإجراء الامتحانات، فضلا عن تقويم تطبيق الخطة الدراسية ومتابعة تنفيذ توصيات هيئة الاعتماد الأكاديمي وتطبيق مفردات المساقات الدراسية.

رؤية الكلية:

إعداد جيل من المختصين في الدراسات الإسلامية، يحوزون المعارف والمهارات المؤهلة لمعالجة مستجدات الحياة برؤية تأصيلية علمية متزنة، خدمةً للمجتمع ومؤسساته ما يحقق الكفاية منهم، بمنهج وسطي معتدل.

الرسالة:

توفير برامج أكاديمية متنوعة في الدراسات الإسلامية، تتوافق مع المعايير الوطنية، وترفد المؤسسات بالكوادر المؤهلة.

الأهداف:

- تعليم علوم الشريعة بما يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويتوافق مع مقاصد الشريعة وكلياتها وأصولها الثابتة.
- بناء الشخصية المسلمة المنتمية لدينها وأمتها، المعتزة بوطنها وأصولها، المتحصنة بالفهم الصحيح للإسلام القائم على الوسطية والاعتدال.
- ترسيخ مبادئ التسامح والحوار، وتأسيس أصول التواصل بين العاملين في حقل الدراسات الإسلامية على اختلاف مدارسهم، وبناء جسور الألفة مع سائر المشتغلين في حقل الدراسات الإنسانية بوجه عام.

- تكوين الملكة الفقهية والأصولية لدى الطالب وذلك بتنمية مهارات القراءة والكتابة، والقدرة على الاستنباط والاستدلال، وإنتاج البحوث العلمية.
- بناء النهج الإسلامي في سلوك منتسبي البرامج وتعاملهم مع عدم التفريط في انتمائه الديني والوطني.
- إعداد باحثين مختصين على صعيد الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية، قادرين على تهيئة الحلول السليمة وفق منهج وسطي معتدل بما يجيب عن الكثير من المستجدات المعاصرة.
- رفد المؤسسات بالكوادر المؤهلة للعمل على صعيدي القطاع العام والخاص.

قسم الدراسات الإسلامية:

هو أحد الأقسام الرئيسة في الجامعة، أُسس في العام الجامعي (١٩٨٦-١٩٨٧م)، وقد تخرجت الدفعة الأولى في تخصص الدراسات الإسلامية في العام ١٩٩٠-١٩٩١م وما زال مستمرًّا في عطائه، وقد فتح باب التسجيل أمام الوافدين للبكالوريوس ابتداء من العام الجامعي ٢٠١٧ / ٢٠١٨م.

رؤية البرنامج:

طرح برنامج رائد وسطي قادر على تأهيل الكوادر أكاديميًا ومهنياً في مجالات الدراسات الإسلامية على الصعيدين المحلي والإقليمي، وفق برنامج يجمع بين النظرية والتطبيق.

رسالة البرنامج:

نحو برنامج يجمع لرواده: المعرفة، ويُكسبهم المهارات، ويمكنهم من القدرات الخاصة من الإفادة من الدراسات الإسلامية، في بيئة تعليمية تُراعي المعايير الأكاديمية، سعياً نحو التميز في ظل تنافسية عالية في أسواق العمل، وتحقيقًا للتنمية المستدامة للمجتمع.

ويهدف القسم إلى ترسيخ الفهم الصحيح للشريعة الإسلامية، وبناء العقيدة الصحيحة القائمة على منهج السلف الصالح في نفوس الطلبة، بما يعزز بناء المواطن الصالح، وإرساء المناهج السليمة في فهم النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، وتأهيل الطلبة ليكونوا دعاة عارفين بأصول الدعوة ومناهجها، فضلا عن تنمية مهارات التفكير لديهم، وتفعيل قدراتهم في الحوار الحضاري مع الآخرينِ ليجمعوا في ذلك بين الأصالة والمعاصرة.

ويرتبط أكاديميًا بكلية الدراسات الإسلامية، وبعمادة شؤون الطلبة، وكذلك بمركز البحوث المؤسسية والاعتماد الأكاديمي والتخطيط في الجامعة. ويضم نخبة من الأساتذة المتميزين من أصحاب الرتب العلمية العالية.

المرحلة الأولى: مرحلة البكالوريوس:

تأسس قسم الدراسات الإسلامية - مرحلة البكالوريوس - في العام الجامعي ١٩٨٦ - ١٩٨٧ م مدة الدراسة فيه أربع سنوات بالنظام الفصلي أو ما يحقق متطلبات التخرج وفق نظام الساعات المعتمدة لمنح شهادة البكالوريوس في الدراسات الإسلامية.

المرحلة الثانية: مرحلة الدراسات العليا:

تأسس برنامج الدراسات العليا - لتخصص الدراسات الإسلامية في العام الجامعي ١٩٩٥ / ١٩٩٦ م يخول الملتحقين به الحصول على درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية.

وفي عام ٢٠١٦ م تم تجديد اعتماد برنامج الماجستير في الدراسات الإسلامية في التخصصين: فقه، وأصول الفقه بموجب القرار الوزاري رقم (١٤٤) لسنة ٢٠١٦ م بتاريخ ٣ / ٥ / ٢٠١٦ م، وتمت اعادة اعتماد البرنامج في ١٥ / ٤ / ٢٠٢١ م.

افتُتح برنامج الدكتوراه في التخصص نفسه في العام الجامعي ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥ م.

وتم إعادة اعتماد البرنامجين في العام الجامعي ٢٠٢٠ / ٢٠٢١م، وقد بلغ عدد الخريجين حتى عام ٢٠٢٣م، ٢٠٠ خريج على النحو التالي:

الدرجة العلمية	العدد
ماجستير	١٦٠
دكتوراه	٤٠

والبرنامجان متاحان للجنسين من الجنسيات الخليجية والعربية والإسلامية وفق شروط تحددها الجامعة.

المحتويات

١	الافتتاحية	٩
٢	الضوابط الفكرية لإنسانية الإنسان «دراسة عقدية في ضوء السنة النبوية»	١٧
٣	الحرية الإنسانية ودور السنة النبوية في السمو بها	٦٥
٤	دور البناء الاجتماعي وفلسفة التّاريخ في إبراز إنسانيّة الإنسان من خلال السنّة النّبويّة	١٠٩
٥	إنسانية الإنسان في السنة النبوية (التعامل مع الغير نموذجا)	١٥١
٦	مجالات إنسانية المرأة في السنة النبوية	٢١٥
٧	منظومة القيم مدخل أساسي لبناء إنسانية الإنسان في السنة النبوية	٢٦٣
٨	تغيير الخلقة الإنسانية التحديات والحلول – دراسة في السنة النبوية	٢٩٩
٩	إنسانية الإنسان في ضوء السنة النبوية وتطبيقاتها في مجال العلاقات الدولية: النزاعات المسلحة نموذجًا	٣٥٧
١٠	القيم الإنسانية في التعامل مع المعسر وأثرها في بناء مجتمع متكافل	٤١٥
١١	إنسانية اليتيم في السنة النبوية – دلالات إعجازية	٤٦١
١٢	إنسانية محمد صلى الله عليه وسلم ومهاراته في التواصل مع الأطفال – نماذج مختارة	٥٢١
١٣	أثر التسول في إهدار كرامة الإنسان ودور السنة النبوية في مواجهته	٥٥١
١٤	نماذج من المنهج النبوي في بناء السَّواء وحماية إنسانية الإنسان	٦٠١
١٥	مبدأ الإنسانية في السنة النبوية وأثره في حسن تنشئة الولدان ورعاية الضعفاء والرفق بالحيوان	٦٤١
١٦	إنسانية الإنسان في السنة النبوية: القيم والروابط الأسرية نموذجًا	٦٨٥
١٧	تفعيل القيم الإنسانية من منظور السنة النبوية بين تنوع المقاربات ودعم المرجعيات	٧٣٧
١٨	مبدأ إنسانية الإنسان من خلال الأدب المفرد للإمام البخاري موازنة تحليلية بين المعالجة النبوية والمقاربات الفلسفية الحديثة	٧٩١

منظومة القيم مدخل أساسي لبناء إنسانية الإنسان في السنة النبوية

د. خديجة بوسبع
دكتوراه في الدراسات الإسلامية
المملكة المغربية

https://doi.org/10.47798/maoj.2023.i02.06

ملخص البحث

يتمحور البحث حول منظومة القيم التي حظيت بمكانة مهمة في السنة النبوية، بوصفها من أهم المداخل الخالدة لبناء الإنسان النافع لنفسه ولمجتمعه ولمحيطه. وقد كان لها فضل السبق في هذا البناء من خلال التركيز على القيم التي تنوعت بين ما هو عقائدي وأخلاقي وحقوقي واجتماعي... ولتفعيل هذه المنظومة، فقد انتهج الرسول (ﷺ) لبناء الإنسان والحفاظ على انسانيته منهجاً متكاملاً ومتنوعاً بين ما هو وقائي وعلاجي. وبذلك استطاع الرسول (ﷺ) بناء الإنسان الذي تتجلى فيه معالم الصلاح في تفاعله مع ذاته ومع الآخرين.

الكلمات المفتاحية: منظومة، القيم، إنسانية، الإنسان، السنة النبوية

Abstract

The research revolves around the system of values that have an important place in the Sunnah of the Prophet, as one of the most important timeless entrances to building a person who is beneficial to himself, his society and his surroundings. And it had the advantage of taking precedence in this construction by focusing on the values that varied between what is ideological, moral, human rights, and social... In order to activate this system, the Messenger (peace be upon him) adopted an integrated and diversified approach to build man and preserve his humanity, between what is preventive and curative. Thus, the Messenger (may God bless him and grant him peace) was able to build a person in whom the signs of righteousness are evident in himself and with others.

Keywords: System, values, humanity, human, Prophetic Sunnah

المقدمة

لقد خلق الله تعالى الإنسان، واختصه بمجموعة من الميزات؛ منها: أنه خَلَقه بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد الملائكة له تكريماً وتشريفاً، ووهبه العقل والإرادة، وجعله خليفة له في أرضه، وسخر له المخلوقات، وأرسل له الرسل لإخراجه من الظلمات إلى النور، وختمهم بنبينا محمد (ﷺ) لإتمام مكارم الأخلاق التي هي أساس بقاء الإنسان على إنسانيته أبد الدهر.

والمتأمل في السنة النبوية يجدها تشكل منظومة قِيَميَّة متكاملة، لبناء إنسانية الإنسان في جميع مجالات الحياة ومستجداتها، وتقدم نموذجًا فريداً لإعداد مجتمع متوازن؛ يحفظ حق الخالق وحق النفس وحق الآخرين.

ونظرا لحيوية هذا الموضوع فقد أردت المشاركة ببحثي هذا الموسوم ب«منظومة القيم: مدخل أساسي لبناء إنسانية الإنسان في السنة النبوية». ضمن خطة بحث شملت مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة.

المطلب الأول: تعريف كل من «منظومة القيم»، و«إنسانية الإنسان».

المطلب الثاني: نماذج من منظومة القيم البانية لإنسانية الإنسان في السنة النبوية.

المطلب الثالث: المنهج النبوي في تحويل جاهلية الإنسان إلى إنسانية الإنسان.

المطلب الرابع: آثار منظومة القيم وأهدافها في بناء إنسانية الإنسان من خلال السنة النبوية.

الخاتمة ثم لائحة المصادر والمراجع.

الدراسات السابقة:

تعددت الجوانب التي نالت اهتماماً كبيرا في كتابات المفكرين والأدباء حول الإنسان، إلا أن جانب القيم وعلاقته ببناء إنسانية الإنسان في مصادر الوحي لم يحظ بالنصيب الوافر الذي يستحقه، وقد كان لهذه الندوة شرف التنبيه والتنويه على أسبقية السنة النبوية في احتفائها بإنسانية الإنسان.

ومن الدراسات التي تناولت القيم في السنة النبوية:

كتاب: «القيم الحضارية في رسالة خير البرية (ﷺ)»[1]، فقد قسم الكاتب القيم إلى علمية واجتماعية وإدارية، إلا أنه لم يبين أهميتها في بناء إنسانية هذا الإنسان.

مقال: «العلاقات الإنسانية في السنة النبوية الشريفة»[2]، تناول هذا المقال دور قيم المساواة والكرامة الإنسانية في السنة النبوية في مقابل ثقافة الاستعلاء والفوقية التي يمارسها الغرب، دون أن يستوعب القيم الأخرى.

أما الإضافة العلميّة التي أسعى إليها في هذا البحث -إن شاء الله- فتتمثل في ربط القيم الحضارية التي كانت تحتفي بها السنة النبوية بآثارها وأهدافها في بناء إنسانية الإنسان، وأن هذه المنظومة القيمية النبوية كانت ممارسات عملية، وسلوكات يومية، صنعت جيلاً فريداً يضرب به المثل في إنسانية الإنسان.

المطلب الأول: تعريف كل من «منظومة القيم»، و«إنسانية الإنسان»

أولا: تعريف المنظومة

المنظومة لغة من نظم: «النَّظْمُ: التأْليفُ، نَظَمَه يَنْظِمُه نَظْماً ونِظاماً ونَظَّمَه

١- محمد بن عبد الله السحيم، القيم الحضارية في رسالة خير البرية (ﷺ).
٢- زبيدة الطيب، العلاقات الإنسانية في السنة النبوية الشريفة.

فانْتَظَمَ وتَنَظَّمَ. ونَظَمْتُ اللؤْلؤَ أَيْ جَمَعْتُهُ في السِّلْك، والتَّنْظيمُ مثْلُهُ، وَمنْهُ نَظَمْتُ الشِّعر ونَظَّمْته، ونَظَمَ الأَمرَ عَلَى المثَل. وكلُّ شَيْءٍ قَرَنْتَه بآخَرَ أَوْ ضَمَمْتَ بعضَه إِلَى بَعْض، فَقَدْ نَظَمْته. والنِّظَامُ: مَا نَظَمْتَ فِيه الشَّيْءَ مِنْ خَيْطٍ وَغَيْرِه، وكلُّ شعبة مِنْهُ وأَصْلٍ نِظامٌ. ونِظامُ كُلِّ أَمر: مِلاكُه». [1] والمنظومة: مجموعة أفكار ومبادئ مُرتبطة ومنظّمة.» [2]

ومن التعريف اللغوي نستخلص المعنى الاصطلاحي للمنظومة بوصفها مجموعة من المبادئ والمفردات والعناصر المتداخلة فيما بينها لتحقيق أهداف معينة.

ثانيا: تعريف القيم

القيم لغة جمع قيمة، وَهي: «ثَمَنُ الشَّيْءِ، وقَوَّمْتُ السِّلْعَةَ ثَمَّنْتُها أَي: قَدَّرْتُها. واسْتَقَامَ الأمرُ: (اعْتَدَلَ) فَهُوَ قَوِيمٌ ومُسْتَقِيمٌ.» [3]

الملاحظ أن مفهوم القيمة قد أخذ معان متعددة منها: تقدير قيمة السلعة والاعتدال والاستقامة، والمكانة الرفيعة.

أما اصطلاحاً فإن مفهوم القيم من المفاهيم التي يصعب تعريفها تعريفاً جامعاً ودقيقاً بسبب اختلاف الحقول التي ينتسب إليها وبسبب تعدد وجهات النظر. وقد عرفها بعض العلماء بأنها: المعايير الثابتة الخالدة، التي تمثل موازين صلاح الأقوال والأفعال والأشياء. موازين العقائد والشرائع والسلوك، وهي في النظرة الإسلامية بمثابة الروح السارية في كل شيء، والحاكمة لكل شيء، والتي يقاس بها صلاح أي شيء، فهي بديهة لا خلاف عليها، وروح سارية لا سبيل إلى إنكارها.

١- ابن منظور، لسان العرب، ١٢ / ٥٧٨. بتصرف.
٢- أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣/ ٢٢٣٦.
٣- مرتضى الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ٣٣ / ٣١٢. بتصرف.

ومنه فإن منظومة القيم وحدة متكاملة من القيم التي تشكل الإطار المرجعي للتعامل مع الآخرين والتفاعل معهم.

ثالثا: تعريف إنسانية الإنسان

الإنسان لغة: ج أناسيّ، مؤنث إنسانة، وهو اسم جنس لكائن حيّ مفكِّر قادر على الكلام المفصَّل والاستنباط والاستدلال العقليّ، يقع على الذَّكر والأنثى من بني آدم، ويطلق على المفرد والجمع.»[١]

وعموماً فإن دلالات الإنسان في المعاجم تدور حول معاني: الإنس وبني آدم والناس والمرء والشخص، والبشر... مع الحفاظ على استقلالية كل مفردة بمعناها وخصائصها التي يميزها عن غيرها.

أما اصطلاحاً فإن الإنسان هو «المختص بالعلم والبيان والعقل والتمييز، مع ما يلابس ذلك كله من تعرض للابتلاء بالخير والشر، وفتنة الغرور بما يحس من قوته وطاقته، وما يزدهيه من الشعور بقدْره ومكانته في الدرجة العليا من درجات التطور ومراتب الكائنات».[٢]

وإجمالا فإن الإنسان هو الكائن البشري المتفرد عن باقي الكائنات بالهيأة والكلام والعقل والتفكير.

أما الإنسانية فمنسوبة إلى الإنسان ومن معانيها أنها «مجموع خصائص الجنس البشريّ التي تميّزه عن غيره، ضدّ البهيميّة أو الحيوانيّة»[٣]. كما يفهم من الإنسانية كل أعمال الخير التي يقوم بها الإنسان لخدمة أخيه الإنسان.

١- أحمد مختار وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، ١ / ١٣٠.
٢- عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ"، مقال في الإنسان دراسة قرآنية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، مارس ١٩٦٩ / محرم ١٣٨٩ه. ص ١٥.
٣- أحمد مختار وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، ١ / ١٣٠. بتصرف.

واصطلاحا فالإنسانية هي جوهر الإنسان النقي الذي تنبثق عنه كل الصفات والأعمال الصالحة التي تصدر عنه وتعود بالنفع عليه وعلى الآخرين.

المطلب الثاني: نماذج من منظومة القيم البانية لإنسانية الإنسان في السنة النبوية

أولت السنة النبوية عناية كبيرة بالإنسان، بوصفه المخلوق الذي كرمه الله سبحانه وتعالى عن غيره من المخلوقات، فقدمت مجموعة من الأسس والمقومات لبناء الإنسان، منها القيم التي كان لها الأثر الفاعل في هذا البناء، في انسجام وتواشج مع مجموع الخصائص والميزات التي اختص الله عز وجل بها الإنسان وعلى رأسها التكريم الإلهي؛ مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الإسراء: ٧٠]. إلا أن هذا التكريم ليس خاصا بصنف من البشر دون غيره، ذلك أن التصور القرآني جاء بصيغة العموم «بَني آدَم»، فلا فرق بين أفراد الأسرة البشرية سواء أكان هذا الإنسان أبيضاً أو أسوداً أو غنياً أو فقيراً، لأن التكريم الإلهي مشترك إنساني لا ينظر للفروقات اللونية أو الاعتقادية أو العرقية أو اللغوية.

فيكفي أنه إنسان ليستحق التكريم من الله سبحانه وتعالى الذي سخر له كل ما في الكون. لذلك اهتم رسول الله (ﷺ) في بنائه لإنسانية الإنسان بحفظ كرامته في السلم والحرب، في حياته وحتى بعد مماته، لذا نهى (ﷺ) عن المثلة عَنْ أَنَس قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَحُثُّ فِي خُطْبَتِهِ عَلَى الصَّدَقَةِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُثْلَةِ».[1] ففي حفظ كرامة الإنسان ولو ميتاً أكبر دليل على رقي ونبل الرسالة الإسلامية.

إن بناء إنسانية الإنسان في السنة النبوية لا يقوم إلا بمراعاة كرامة الإنسان واحترام جسده وروحه وعقله ووجدانه حتى يتمكن من حمل أمانة استخلاف

١- أخرجه النسائي في كِتَاب تَحْرِيمِ الدَّمِ، باب النَّهْيُ عَنِ الْمُثْلَةِ (٧/ ١٠١)، وحكم الألباني بصحته.

الأرض بوصفه سيداً فيها، وليس مجرد أداة للإنتاج وللاستهلاك كما هو الحال في الحضارة الحديثة.

والجدير بالذكر أن منظومة القيم التي تشكل المدخل الرئيس لبناء إنسانية الإنسان، وحمايتها من تأثير مستجدات الحياة، قد سبقت السنة النبوية إلى تطبيقها وتفعيلها في المجتمع الذي كان يتعطش إلى أن ينعم فيه كل فرد بإنسانيته التي خلق عليها، بسبب عوامل الفساد والظلم والخوف التي كانت مستشرية قبل بعثة النبي (ﷺ). وقد تنوعت هذه المنظومة بين ما هو عقائدي، أخلاقي، اجتماعي... ومنها ما يأتي:

أولا: قيمة التوحيد

مما لا شك فيه أن كل المرسلين جاؤوا بعقيدة واحدة هي عقيدة التوحيد، ودين واحد هو دين الإسلام، وإن اختلفت الشرائع، فأصل الكتب السماوية واحد، ومردها إلى مشكاة واحدة.

وقيمة التوحيد هي المنطلق الرئيس لبناء إنسانية الإنسان، وهي الأساس الذي يحرر الإنسان من مختلف أشكال العبودية لغير الله تعالى، وفي هذا تشريف وتكريم للإنسان، وتنظيم لعلاقته بخالقه. هذه العلاقة إذا حسنت انعكست آثارها على تفكيره وأخلاقه وإحساسه ومعاملته مع محيطه.

ورسول الله (ﷺ) استطاع بقيمة التوحيد حفز العقول على التأمل والتفكر في ملكوت الله وآياته الدالة على وحدانيته. ودفعها إلى نبذ الخرافات، والثورة على المعتقدات الفاسدة وعلى العصبية الجاهلية، فقيمة التوحيد إذن كبح للوساوس الشيطانية وإرجاع للإنسان إلى فطرته.

وبناء الإنسان قيمياً لم يكن نظريا فقط بل لقد تم تنزيلها على أرض الواقع؛

ولنا في السيرة النبوية نموذجًا راقيًا في النفور من الفواحش وترسيخ القيم الحميدة وعلى رأسها التوحيد حيث كانت باقي القيم امتداداً تطبيقيا له. ويستخلص ذلك مما قاله جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي: «أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ- قَالَتْ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ- فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللهِ، فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، ... ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ.»[1]

ويستنبط من قول النجاشي أن التوحيد مشترك إنساني، وأن الدين واحد وإن اختلفت الشرائع. كما نلحظ مما سبق أن رسول الله (ﷺ) تمكن من بناء الإنسان الذي تترفع نفسه عن الرذائل وعن كل أنواع الظلم وعلى رأسها الشرك، ليرجع النفوس إلى نقائها الذي خلقت عليه، وأن تعتز بإيمانها وتقف في وجه المشركين ولا تخاف في الله لومة لائم. ولنا في الصحابة الكرام النموذج الأمثل في التحرر من جبروت كل الطغاة؛ فعن ربعي ابن عامر في حواره مع رستم قائد الفرس قال: «اللهُ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ، وَمِنْ ضِيقِ الدنيا إلى سعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الإسلام، فَأَرْسَلَنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوَهُمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَبِلَ ذَلِكَ قَبِلْنَا مِنْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا حَتَّى

١- ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، ١ / ٣٣٦.

نُفْضِيَ إِلَى مَوْعُودِ اللهِ.»[١]

وعن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله تعالى عنه، قال: «كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ؛ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»[٢].

والمستخلص مما سبق أن الإيمان بوحدانية الله تعالى، يجعل الإنسان يتصرف وفق تكليفه المنسجم مع عقيدته الإسلامية بعيداً عن عبادة غير الله، فيعتز بإيمانه وبنفسه.

ثانيا: قيم حقوقية:

١- الحرية

تعددت القيم التي اعتبرها الإسلام ضرورية لبناء إنسانية الإنسان ومنها قيمة الحرية، هذه القيمة التي ترسخ احترام الإنسان، وتعطيه الحق في الاختيار والتعبير عن آرائه وأفكاره ومعتقداته دون إكراه أو إذلال؛ مصداقا لقوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦]. وهذا ما نجده أيضا في البند الخامس والعشرين من وثيقة المدينة: «وَأَنّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِيْنِ دِينُهُمْ»[٣].

بناء على ما سبق فإن السنة النبوية لا تضيق ذرعاً بتنوع الانتماء العقدي.

١- ابن كثير، البداية والنهاية، ٧/ ٤٦- ٤٧.
٢- أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ٥٩، (٤/ ٢٤٨). رقم الحديث ٢٥١٦. وقال: هذا حديث حسن صحيح.
٣- ابن هشام: السيرة النبوية لابن هشام، ١/ ٥٠٣.

فالحرية والمسؤولية أمران متلازمان يصنعان إنساناً فاعلاً داخل مجتمعه، مؤدياً لمسؤولياته، فلا إنسانية إذن في انعدام الحرية.

ومن تجليات قيمة الحرية في التربية النبوية لجيل الصحابة؛ إجابة الرسول الكريم (ﷺ) على الاستفسارات التي كانت تجول بخواطرهم ويستعظمونها مخافة التأثير في إيمانهم. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (ﷺ)، فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «ذَاكَ صَرِيحُ الإيمان».[1]

والمستخلص مما تقدم أن رسالة الرسول (ﷺ) لم تنسيه إنسانيته التي جعلته يفهم ما يمكن أن يخالج الخواطر من وساوس الشيطان، فتلطف بالصحابة، وأعطاهم الحرية في التعبير عما في بواطنهم ولم يعاتبهم وكان يجيب عن أسئلتهم دون ضيق، بل كان يراعي اختلاف القدرات العقلية للصحابة ويوفر لها الظروف لتنمو في بيئة سليمة بعيداً عن التأويلات الخاطئة من الجاهلين والحاقدين. بل تستنبط الحرية من السنة النبوية من ارتباطها بقيم أخرى كالتكريم والمساواة والعدل... فالحرية في تكريم الله لكل إنسان وفي انعدام الفوارق بين الناس فالكل سواء عند الله تعالى.

وعموماً فلا استخلاف للأرض ولا عمارة لها في غياب قيمة الحرية، لإن الحرية ركيزة بناء الإنسانية وهي حق ملازم وضروري ليظل الإنسان على إنسانيته، وحتى يتمكن من أداء الواجب في هذه الحياة.

٢– العدل

لقد مر فيما سلف أن السنة النبوية قد كرمت الإنسان لمجرد كونه إنساناً، ورفعت من شأنه وحرمت الاعتداء عليه في حياته وبعد مماته، دون تمييز بين مسلم

١- أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ الْوَسْوَسَةِ فِي الْإِيمَانِ وَمَا يَقُولُهُ مَنْ وَجَدَهَا، (١ / ١١٩).

وكافر، وجعلت العدل من القيم البانية لإنسانية الإنسان. «وهذا الأمر العظيم في نفسه (العدل)، العظيم في أثره أوجبه الله عز جل على نفسه، وأوجبه على عباده، وحرم عليهم الظلم قليله وكثيره، وما ذاك إلا لأن الحياة لا تستقيم مع الجور والظلم، والدول والممالك والحضارات لا تقوم إلا على نظام من العدل، ومساواة في الحقوق، وصيانة للعهود، وما لم يستيقن المحق أنه سينال حقه كاملا، ويعلم الظالم أنه سيردع عاجلاً، فلن تقوم حضارة ولن يستقيم نظام دولة، ولن يستتب أمن».[١]

فمادام الناس إما أخوة في الدين أو أخوة في الخلق، فمن العدل أن يكونوا سواء في المعاملة، خاصة وأن العدل من القيم التي أوجبها الله عز جل على نفسه، وأوجبها على عباده، وحرم عليهم الظلمَ حفظاً لحقوقهم؛ النفسية والجسدية والمالية، فلا ينبغي إيذاء الإنسان؛ قولاً أو فعلاً، بل وحتى إشارة؛ فعَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ)، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، ... يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ».[٢]

ومن تجليات هذه القيمة في السنة النبوية: توعد رسول الله محمد (ﷺ) كل من تسول له نفسه الاعتداء على حقوق المعاهدين والمستأمنين والذميين، فمنها نهيه (ﷺ) عن قتل النفس البشرية فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا».[٣] وقوله (ﷺ): «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ

١- محمد بن عبد الله بن صالح السحيم، القيم الحضارية في رسالة خير البرية (ﷺ)، ص ١٧٠.
٢- أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٤ / ١٩٩٤).
٣- أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة، بَابُ إِثْمِ مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا بِغَيْرِ جُرْمٍ (٤ / ٩٩).

فَوْقَ طَاقَتِهِ، أو أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». (١)

وعلى ضوء ما سبق فإن بناء إنسانية الإنسان يقتضي العدل والمساواة في المعاملة الطيبة، فالناس في الإسلام كأسنان المشط في الحياة، ولا مجال لأفضلية إنسان على آخر، ويستشف هذا مما روي عن النبي (ﷺ) في خطبة الوداع حيث قال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلاَّ بِالتَّقْوَى) (٢).

نتوصل إذن إلى أن حياة الإنسان مكرمة ومحفوظة في السنة النبوية، ومن ثمة فإن بناء إنسانية الإنسان القائم على القيم المحمودة يلغي الفوارق ويثبت العدل ويحفظ الحقوق ويبعد النزاعات.

ثالثا: قيم فردية: الوسطية والاعتدال

تعد الوسطية والاعتدال من بين السمات المميزة للدين الإسلامي، التي تجعل المسلم مؤهلاً للشهادة على الآخرين مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]. وهي التي ترشد إلى التوازن في العقيدة والشريعة والمعاملات، وفي الحقوق والواجبات الدينية والدنيوية، بل في جميع الجوانب المكونة للإنسان؛ الجسدية والروحية والعقلية والوجدانية. فعَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: آخَى النَّبِيُّ (ﷺ) بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا،

١- أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات (٣/ ١٧٠). وحكم الألباني بصحته.

٢- أخرجه ابن حنبل في مسنده، باب حديث رجل من أصحاب النبي (ﷺ) (٣٨/ ٤٧٤). وقال: إسناده صحيح.

فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاء فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ؟ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاء يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ: سَلْمَانُ قُمِ الآنَ، فَصَلَّيَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ (ﷺ)، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «صَدَقَ سَلْمَانُ».[1]

ثم إن المهتدي بهدي رسول الله يسلك منهج الوسطية والتوازن ليبني الإنسان السوي الذي يعطي لكل ذي حق حقه؛ بلا إفراط ولا تفريط. وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ (ﷺ) فَخَطَّ خَطًّا، وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ، وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَسَارِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الْأَوْسَطِ، فَقَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ» ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣].»[2]

إن غاية قيمة الوسطية والاعتدال هي بناء إنسانية الإنسان، وجعله بعيداً عن مظاهر الغلو والتشدد والارتماء في أحضان التطرف والإرهاب.

رابعا: قيم اجتماعية: التعاون والتكافل

اقتضت الحكمة الإلهية ألاّ يعيش الإنسان منعزلا، لأن الضرورة تدفعه إلى البحث عمن يشاطره الحياة ليتعاون معه على تحقيق المصالح ودفع المفاسد.

والسنة النبوية في بنائها لإنسانية الإنسان جعلت التحلي بالقيم الإسلامية طريق الحياة الآمنة والمستقرة، ومن هذه القيم التي تحقق تلك المقاصد التعاون

١- أخرجه البخاري في كتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ مَنْ أَقْسَمَ عَلَى أَخِيهِ لِيُفْطِرَ فِي التَّطَوُّعِ، وَلَمْ يَرَ عَلَيْهِ قَضَاءً إِذَا كَانَ أَوْفَقَ لَهُ (٣/ ٣٨).

٢- أخرجه ابن ماجة في الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، بَابُ اتِّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، ١/ ٦. حكم الألباني بصحته.

الذي يعد من الواجبات الاجتماعية التي تعود بالنفع على أفراد المجتمع . لذا فقد شبه النبي (ﷺ) أفراد المجتمع الإسلامي في تعاونه وتكافله بالجسد الواحد، قَالَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ): «تَرَى المُؤْمنينَ في تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى».[1] فالإنسان مدني اجتماعي بطبعه محتاج إلى غيره بقدر احتياج غيره له، وكلما تكاتف مجتمع صار قوياً، وكلما عطف بعضه على بعض وأحس بعضه بآلام البعض صار في منعة وحصانة»[2]. فالتعاون يسهم في تماسك المجتمع عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: «إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»[3] فلا يمكن للبنيان أن يستقيم دون أن تتماسك لبناته، فكذلك المجتمع لا يصمد أمام التحديات والأخطار إلا بتعاون المسلمين وتضامنهم أفراداً وجماعات ليكونوا يداً واحدة ويصبحوا أكثر قوة.

فقيمة التعاون من القيم المركزية التي تسهم بشكل واضح في بناء إنسانية الإنسان، وفي نشر هذا الدين، وفي لم شمل المسلمين.

وقد تمكن خاتم الأنبياء والمرسلين (ﷺ) من بناء الإنسان الذي جسد النموذج الأعلى في اكتمال الإنسانية حيث البذل والعطاء بسخاء، ومن هؤلاء الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي عمل بمقتضى إنسانيته وإحساسه بمدى حاجة الفقراء، فتصدق بأمواله في سبيل الله مساعدة المسلمين؛ بشراء بئر رومة وتوسعة المسجد النبوي وإعداد جيش العسرة وإطعام الفقراء وتحرير العبيد. فعن أبي عبد الرَّحمن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا في سَبِيلِ اللهَّ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا في سَبِيلِ اللهَّ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا»[4] قال ابن بطَّال: وقال الطبري: وفيه من الفقه أن كلَ من أعان مؤمناً

١- أخرجه البخاري في كتاب الأدب، بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ (٨/ ١٠).
٢- موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلِم، ١٠/ ٥٩.
٣- أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، بَابُ تَشْبِيكِ الأَصَابِعِ فِي المَسْجِدِ وَغَيْرِهِ (١/ ١٠٣).
٤- أخرجه البخاري في كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ فَضْلِ مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا أَوْ خَلَّفَهُ بِخَيْرٍ (٤/ ٢٧).

على عمل بر فللمعين عليه أجر مثل العامل، وإذا أخبر الرسول أن من جهز غازيًا فقد غزا، فكذلك من فطر صائمًا أو قواه على صومه، وكذلك من أعان حاجاً أو معتمرًا بما يتقوى به على حجه أو عمرته حتى يأتي ذلك على تمامه فله مثل أجره. ومن أعان فإنما يجيء من حقوق الله بنفسه أو بماله حتى يغلبه على الباطل بمعونة فله مثل أجر القائم، ثم كذلك سائر أعمال البر، وإذا كان ذلك بحكم المعونة على أعمال البر فمثله المعونة على معاصي الله وما يكرهه الله، للمعين عليها من الوزر والإثم مثل ما لعاملها» [١].

وفي رواية أخرى عن ابْن عُمَرَ، قَالَ النَّبِىّ عليه الصلاة والسَّلام: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِم، لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِى حَاجَةِ أَخِيه، كَانَ اللهُّ فِى حَاجَتِه، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِم كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُّ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[٢].

ولم تقتصر قيمة التعاون على المسلمين فيما بينهم، بل امتدت إلى غير المسلمين كما نجد في وثيقة المدينة التي نصت في بنودها[٣] على تعاون المسلمين واليهود على العيش المشترك وعلى حماية أمن وسلامة الجميع ضد كل عدوان خارجي.

وإجمالاً فإن السنة النبوية في بنائها للإنسانية بناء متوازناً، أزالت من نفس المؤمن الأنانية وغرست فيه حب الإيثار والتعاون مع أخيه الإنسان فيما يعود عليهم بالنفع جميعا.

فلا إنسانية في غياب المنظومة القيمية، لذا رغبت السنة النبوية في التحلي

١- ابن بطال، شرح صحيح البخاري لابن بطال، ٥ / ٥١- ٥٢.
٢- أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغضب، باب لاَ يَظْلِمُ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ وَلاَ يُسْلِمُهُ (٣/ ١٢٨).
٣- "وَإِنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْف - ويهود بني النجار،...- أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ، وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ، مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ، إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ، فَإِنَّهُ لاَ يُوتِغُ إِلاَّ نَفْسَهُ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النُّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ، وَالْبِرَّ دُونَ الإِثْمِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَأْثَمْ امْرُؤٌ بِحَلِيفِهِ، وَإِنَّ النَّصْرَ لِلْمَظْلُومِ، وَإِنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارَبِينَ،... وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ دَهَمَ يَثْرِبَ". انظر: ابن هشام: السيرة النبوية لابن هشام، ١ / ٥٠٣- ٥٠٤ بتصرف.

بالقيم، كالعدل والتعاون والتضامن وتفريج الكرب وبينت أن الجزاء من صنف العمل.

خامسا: حسن الأخلاق

والمتصفح في القرآن الكريم وكتب السنة النبوية يجد أن الأخلاق قد حظيت بمكانة عظيمة؛ فهي إحدى ركائز الإسلام، والعنوان البارز لعلاقة العبد بربه وبنفسه وبالآخرين، وأساس صلاح الأمم وقيام الحضارات. بل وجعل الله تعالى إتمام مكارم الأخلاق من مقاصد بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين (ﷺ)، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأخلاق»[1].

من هنا نفهم مُسوِّغ كثرة النصوص التي تشيد بحسن الأخلاق ومنها قوله (ﷺ): «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ.»[2] وعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[3].

وتبرز أهمية حسن الأخلاق في كون نفعها لا ينحصر على صاحبها بل يتعداه إلى الآخر، ولولا حسن الأخلاق ما حسنت الأعمال والمعاملات.

فرسول الإنسانية (ﷺ) كوَّنَ الإنسان النافع لنفسه وللآخرين؛ ويبدو هذا واضحا ليس فقط في الدعوة إلى حسن معاملة الناس، بل تعداه إلى الترغيب في الرفق بالحيوانات؛ ويتجلى ذلك في قصة دخول الجنة بسبب كلب عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

١- أخرجه ابن حنبل في مسند أبي هريرة رضي الله عنه (١٤/ ٥١٣). قال المحقق شعيب الأرنؤوط: صحيح، وهذا إسناد قوي، رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان، فقد روى له مسلم متابعة، وهو قوي الحديث.

٢- أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله (ﷺ)، بَابُ مَا جَاءَ فِي حُسْنِ الخُلُقِ (٣/ ٤٣٠). وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

٣- أخرجه الترمذي، في كتاب البر والصلة عن رسول الله (ﷺ)، بَابُ مَا جَاءَ فِي مُعَاشَرَةِ النَّاسِ (٣/ ٤٢٣). وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّة، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ».[١]

وبالمقابل صورت لنا السنة النبوية مصير المرأة التي جردت من الإنسانية جراء حبسها لهرة؛ عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ (ﷺ)، قَالَ: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّة سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلاَ سَقَتْهَا، إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلاَ هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ»[٢].

تأسيساً على ما تقدم فإن السنة النبوية كان لها فضل السبق في بناء إنسانية الإنسان التي تجلت في أجمل حللها في الرفق والرحمة بالحيوان وفي الحفاظ على البيئة عن هِشَامُ بْنُ زَيْد قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالك قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله (ﷺ): «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ»[٣].

وقد كان لنا في رسول الله إسوة حسنة في نشر الرسالة الإسلامية بأخلاقه الفاضلة؛ وقد مدحه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة القلم:٤]. لذا فقد حرصت السنة النبوية في بنائها لإنسانية الإنسان على الأخلاق الحسنة، حتى لا تنقلب الحياة إلى فوضى وصراع حول المصالح الذاتية. فقيم الأخلاق هي اللبنة الأولى في الإسلام لبناء الإنسان الإيجابي الذي لا يتوانى في نفع الآخرين حتى في آخر لحظات حياته، لذا ينبغي التحلي بها وتربية الأبناء عليها ليتشبعوا بها، وتصبح أمراً معيشاً وملازماً لحياتهم. وأن تكون مجالاً للتنافس في هذه الحياة.

١- أخرجه البخاري في كتَاب أحاديث الأنبياء، بَابُ حَدِيث الغَارِ (٤ / ١٧٣).
٢- أخرجه البخاري في كِتَاب أحاديث الأنبياء، بَابُ حَدِيثَ الغَارَ (٤ / ١٧٦).
٣- أخرجه ابن حنبل في مَسند أنس بن مالك رضي الله عَنهَ (٢٠ / ٢٩٦). قال المحقق: إسناده صحيح على شرط مسلم.

ومنه فإن الصادق الأمين (ﷺ) استطاع بناء الإنسان والمحافظة على إنسانيته من خلال التركيز على الجانب القيمي، ونقله من عبادة الحجارة والأوثان إلى بانٍ للحضارة والعمران، بعد أن حرر العقول من المعتقدات الفاسدة وأصلح علاقة المخلوق مع الخالق ثم مع الآخر.

وللإشارة فإن منظومة القيم ليست جزراً متفرقة بل هي مرتبطة ببعضها ارتباطاً وثيقاً، فإذا لم تشكل وحدة لا تكتمل إنسانية الإنسان.

المطلب الثالث: المنهج النبوي في تحويل جاهلية الإنسان إلى إنسانية الإنسان

يعد بناء إنسانية الإنسان مطلباً كونياً لكن بضوابط شرعية، لذا فهو في حاجة إلى منهج متكامل، لا يعتريه نقص وقصور، كما هو الحال مع المناهج الوضعية، وهذا المنهج الكامل والمحيط بجميع جوانب الشخصية الإنسانية هو المنهج الرباني الذي أوحاه الله سبحانه وتعالى إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (ﷺ).

وقد تعددت المناهج الوقائية والعلاجية التي اتبعها الرسول الكريم (ﷺ) لبناء إنسانية الإنسان ومنها:

أولا: منهج انتقاء القيم

أرسل محمد (ﷺ) في بيئة اختلطت فيها القيم؛ بين قيم تعود إلى الملة الحنيفية الإبراهيمية كالصدق والكرم والوفاء بالعهد والشجاعة والتعاون...، وبين قيم نشأت في البيئة الجاهلية كالعصبية والزنا والخمر ووأد البنات وإشعال الحروب على أتفه الأسباب، إذ قام نبي الله (ﷺ) في بنائه للإنسانية بانتقاء القيم والأخلاق التي تلائم الفطرة الإنسانية؛ فأقرَّ وأثبتَ القيم الحميدة، ورفضَ وشجب الخصال الذميمة. «فقد جاء الإسلام- خاتماً للأديان- وهذه الخاتمية تقتضي أن يكون أكمل الأديان وأوفاها بحاجات الإنسانية؛ وأبرعها في معالجة الأدواء التي حوتها قائمة

القيم الجاهلية؛ واختلف موقف الإسلام من هذه القيم تبعا لنوعيتها .. ١- فقابل بعضها بالرفض وقضى عليها قضاء مبرما. ٢- وأقر بعضها وشجعها ودعا إليها. ٣- وسما ببعضها الآخر فعاد بالنفع على الدين والناس»[١].

وعليه فإن بناء إنسانية الإنسان في السنة النبوية يبرز في تخليص القيم مما علق بها من شوائب الجاهلية وجعلها وفقاً لشرع الله تعالى، محققة العبودية له وحده، ومنضبطة في حدود الوسطية والاعتدال، مع تحريمه للرذائل وهدمه للمعتقدات الفاسدة. ومن ثمة إتمام هذه المكارم وتزكيتها ودمجها في المنظومة الأخلاقية الإسلامية.

ثانيا: منهج التخلية والتحلية

ارتباطاً بما سبق فإن بناء إنسانية الإنسان اقتضى من رسول الله (ﷺ) العمل على تطهير النفوس وتخليتها من رواسب الجاهلية، وتحليتها بالأخلاق الفاضلة. وهو ما يمكن أن يصطلح عليه بمنهج التخلية والتحلية.

فعَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهُ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا ذَرٍّ لَوْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا كَانَتْ حُلَّةً، فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِي كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ)، فَلَقِيتُ النَّبِيَّ (ﷺ)، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ سَبَّ الرِّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ».[٢]

١- جابر قميحة، المدخل إلى القيم الإسلامية، ص٣٠/ نقلا عن: حميد بن خيبش، البناء القيمي في السيرة النبوية، طريق الإسلام، منذ ٢٠١٦-٠٣-٠٦، http://iswy.co/e16nav

٢- أخرجه مسلم في كتاب الأيمان، بَابُ إِطْعَامِ الْمَمْلُوكِ مِمَّا يَأْكُلُ، وَإِلْبَاسِهِ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يُكَلِّفُهُ مَا يَغْلِبُهُ، (٣/ ١٢٨٢).

فالسب والشتم والافتخار بالحسب والنسب والتكبر من سمات الجاهلية التي تجعل إنسانية الإنسان تتلاشى، لذا فإن رسول الله (ﷺ) زجر هذا التصرف حتى لا يتسع أثره ويتسبب في نشر العداوة بين الناس.

والإنسانية في السنة النبوية لم تبن إلا في ظل منظومة القيم؛ التي تعزز السلوكات الأخلاقية الحميدة وتقوِّم الخاطئة منها، وتمنع الاعتداء على الإنسان قولاً وفعلاً وإشارة.

ثالثا: منهج التوازن

نظرا لمكانة الإنسان في هذه الأرض؛ بوصفه المستخلف فيها والفاعل الأساس في كل إنتاج وتغيير، فإن السنة النبوية راعت مختلف الجوانب المكونة له سواء الروحية أو الجسدية أو الفكرية والنفسية فلم تكلفه بما يفوق طاقته، بل تعاملت معه بمنهج التوازن الذي يوافق احتياجاته وقدراته دون إفراط أو تفريط.

فقد كان رسول الله (ﷺ) يستنكر على الغلاة والمتشددين ويرشدهم إلى جادة الصواب. فعن أَنَسَ ابْنَ مَالك رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ، يَقُولُ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْط إِلَى بُيُوت أَزْوَاج النَّبِيِّ (ﷺ)، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَة النَّبِيِّ (ﷺ)، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ منَ النَّبِيِّ (ﷺ)؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ منْ ذَنْبه وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهَّ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهَّ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكنِّي أَصُومُ وَأُفْطرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».[1]

فنبي الله (ﷺ) في بنائه لإنسانية الإنسان بيَّن لهذا الرهط ولكل من يكلف نفسه فوق طاقته مساوئ التفريط والإفراط، فالأول سيؤدي إلى فوات خير كثير

١- أخرجه البخاري في كتاب النكاح، بَابُ الترغيب في النكاح، (٧/ ٢).

في العبادات أو الأمور الدنيوية، والثاني -أي الإفراط- سيؤدي لا محالة إلى الملل والضجر والنفور منها. لذا فإن التوازن في الأمور أرحمها للنفس وأنفعها للغير. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ».[1]

وبالتأمل فيما سبق ندرك أهمية هذا المنهج في بناء الإنسان المتوازن في نفسه وفي مجتمعه، وأنه من أسباب استمرارية الحياة.

رابعا: منهج التدرج

من أهم المناهج التي قام عليها التشريع الإسلامي منهج التدرج الذي يراعي حال المكلفين، وخاصة في الإقلاع عن العادات السيئة والأخلاق الرذيلة التي ترسخت في النفوس، ويصعب الإقلاع عنها دفعة واحدة، فكان التدرج من أفضل المناهج لتغيير عقليات الناس، وإحداث نقلة نوعية في حياتهم بغية إحياء الإنسانية في الإنسان.

ومن نماذج هذا التدرج: تحريم الخمر والربا والزنا والتطفيف وغيرها من العادات السيئة التي استحكمت في النفوس الجاهلية، فسلك عليه الصلاة والسلام منهج التدرج دفعاً للمفسدة وجلباً للمصلحة. قال ابن عاشور: «وَسَلَكَ فِي نَهْيِهِمْ عَنِ الْفَسَادِ مَسْلَكَ التَّدَرُّجِ فَابْتَدَأَهُ بنهيهم عَن نوح مِنَ الْفَسَادِ فَاشٍ فِيهِمْ وَهُوَ التَّطْفِيفُ. ثُمَّ ارْتَقَى فَنَهَاهُمْ عَنْ جِنْسِ ذَلِكَ النَّوْعِ وَهُوَ أَكْلُ أَمْوَالِ النَّاسِ. ثُمَّ ارْتَقَى فَنَهَاهُمْ عَنِ الْجِنْسِ الْأَعْلَى لِلْفَسَادِ الشَّامِلِ لِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْمَفَاسِدِ وَهُوَ الْإِفْسَادُ فِي الأرض كُلُّهُ. وَهَذَا مِنْ أَسَالِيبِ الْحِكْمَةِ فِي تَهْيِئَةِ النُّفُوسِ بِقَبُولِ

١- أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، بَابُ الدين يسر وَقَوْلُ النَّبِيِّ (ﷺ): «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»، (١/ ١٦).

الْإِرْشَادِ وَالْكَمَالِ.»[1]

والتدرج ليس فقط في المنهيات بل حتى في ترسيخ العقائد والعبادات والمعاملات مثال ذلك: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ».[2]

ومن مزايا منهج التدرج أنه يتناسب مع الواقع، وبفضله تمكن رسول الله (ﷺ) من إعادة بناء الإنسان على أساس القيم الحميدة. فليس بالأمر الهين أن ترتقي بإنسانية الإنسان من مرتبة إلى مرتبة. فالنبي (ﷺ) جسد خير مرشد ومعلم وقائد لنقل الإنسان من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان. فما أحوجنا لهذا المنهج في هذا الزمان الذي اختلطت فيه القيم والمفاهيم.

خامسا: منهج إقامة الحدود والعقوبات الشرعية

بنت السنة النبوية إنسانية الإنسان في ذاته وإنسانية الإنسان في غيره، وتوقف هذا البناء على عدة معاملات وشرائع ومناهج وقيم؛ ومن أهم المناهج التي تحافظ على الكليات الخمس للإنسان إقامة الحدود والعقوبات الشرعية.

ويعد هذا المنهج علاجاً فاعلاً لمن لم ينفع معه السلوك الحسن، وكان خير مساعد للحفاظ على إنسانية الإنسان؛ إذ يحمي الحياة من أن تسفك، والعقول

١- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٢ / ١٣٨.
٢- أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، بَابُ أَخْذِ الصَّدَقَةِ مِنَ الأَغْنِيَاءِ وَتُرَدَّ فِي الفُقَرَاءِ حَيْثُ كَانُوا، (٢ / ١٢٨).

من أن تخرب، والأعراض من أن تنتهك، والأموال من أن تؤكل بالباطل. ففي عقاب المعتدي وإقامة الحدود حفظ لحقوق الله تعالى ولحقوق الإنسان وحفظ لنظام المجتمع وأمنه واستقراره. ويروي عُبَادَةَ بْنَ الصَّامت رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاء لَيْلَةَ العَقَبَة: أَنَّ رَسُولَ اللهَّ (ﷺ) قَالَ، وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابه: «بَايِعُوني عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا باللهَّ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَان تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُوا في مَعْرُوف، فَمَنْ وَفَى منْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهَّ، وَمَنْ أَصَابَ منْ ذَلكَ شَيْئًا فَعُوقبَ في الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُّ فَهُوَ إِلَى اللهَّ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ». (١)

وإنسانية الإنسان لا تتحقق إلا إذا طبقت الحدود والعقوبات على الجاني دون تمييز بين غني أو فقير فالكل سواء أمام الله تعالى، ويستشف ذلك من رواية عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُّ عَنْهَا: أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمُ المَرْأَةُ المَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللهَّ (ﷺ)، وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ بْنُ زَيْد، حِبُّ رَسُول اللهَّ (ﷺ)، فَكَلَّمَ رَسُولَ اللهَّ (ﷺ)، فَقَالَ: «أَتَشْفَعُ في حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهَّ» ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ، قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهَّ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ (ﷺ)، سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا». (٢)

فالسنة النبوية لا تحابي أحداً على أحد، بل تقيم الحدود وتنزل العقوبات على كل من اعتدى على حقوق أخيه الإنسان، فبهذا المنهج تحفظ إنسانية الإنسان ولا تنزل إلى المرتبة الحيوانية، وتقي من إشاعة الفواحش وتردع كل من تسول له نفسه فعل الجرائم، وهي أيضا علاج من حيث تقويم نفس المعتدي وتطهيرها من الآثام،

١- أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار (١ / ١٢).
٢- أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب كَرَاهِيَةِ الشَّفَاعَةِ فِي الحَدِّ إِذَا رُفِعَ إِلَى السُّلْطَانِ (٤ / ١٧٥).

وفي هذا حفظ لحياة الإنسان ولأمنه وسلامته.

إن بناء إنسانية الإنسان على أساس إقامة الحدود الشرعية بمثابة سور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، ففي عقاب المعتدي عبرة ورحمة لغيره وإصلاحاً للمجتمع ووقايته من انتشار الفواحش والجرائم.

نستنتج ما سلف أن منهج السنة النبوية في تفعيل المنظومة القيمية كان فريداً من نوعه؛ بصلاحه ودقته وفاعليته في كل زمان ومكان، وبذلك استطاع الرسول (ﷺ) بناء الإنسان الذي تتجلى فيه معالم الصلاح في نفسه ومع غيره وبناء مجتمع متماسك ومتعاون، وقد تواترت فيها روايات صحيحة وآثار حسنة.

المطلب الرابع: آثار منظومة القيم وأهدافها في بناء إنسانية الإنسان من خلال السنة النبوية

أولا: آثار منظومة القيم في بناء إنسانية الإنسان على مستوى الفرد

إن الدين الإسلامي هو دين القيم بامتياز، وقد كان للسنة النبوية الأثر الكبير في تربية المسلمين عليها وفي غرسها في المجتمع المسلم، فقد استطاع الرسول (ﷺ) أن يبني جيلاً فريداً في تقدير الإنسان في ذاته ولذاته. فكانت «أولى الخطوات نحو هذه الحياة الراشدة الهنيئة إيجاد الفرد المسلم الصادق الذي تتمثل فيه صور الإسلام الوضيئة المشرقة، يراها الناس فيرون الإسلام، ويتعاملون معها فيزدادون إيماناً به وإقبالاً عليه. وهذا ما صنعه رسول الله (ﷺ) في صدر الدعوة، إذ كانت أولى خطواته في درب الإسلام الطويل أن يصنع رجالاً يتجسد فيهم الإسلام، فإذا هم مصاحف تمشي على الأرض، انتشروا في أنحاء الدنيا، فرآى الناس فيهم نماذج فريدة من البشر، يمثلون منهجاً للحياة فريداً أيضا، فلما رأوا المنهج الفريد مجسداً في الفرد المؤمن الصادق أقبلوا يدخلون في دين الله أفواجا.»[1]

١- محمد علي الهاشمي، شخصية المسلم كما يصوغها الكتاب والسنة، ص ١١-١٢.

وبناء إنسانية هذا الجيل لم يأت صدفة، بل تطلب الأمر جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً لنقلهم من وضع الجاهلية إلى وضع الإيمان؛ فقد ركز النبي (ﷺ) على بناء الجانب العقدي أولا؛ لأن العقيدة في الله وفي عدله ورحمته، وفي العوض والجزاء عنده في دار الخلود، تهب الإنسان الصحة النفسية والقوة الروحية، فتشيع في كيانه البهجة، ويغمر روحه التفاؤل، وتتسع في عينه دائرة الوجود، وينظر إلى الحياة بمنظار مشرق، ويهون عليه مايلقى وما يكابد في حياته القصيرة الفانية، ويجد من العزاء والرجاء والسكينة ما لا يقوم مقامه ولا يغني عنه علم ولا فلسفة ولا مال ولا ولد ولا ملك المشرق والمغرب».[١]

كما كانت للتربية النبوية في بناء الإنسانية آثار إيجابية أخرى على نفسية المؤمنين لأن إفساح المجال للفرد بالسؤال عما يجول في خاطره أمر يعزز شخصيته، ويجعله واثقا بنفسه، ويكسبه الشجاعة في الحق، بدل أن يتوارى ويطرح تلك الأسئلة في الخفاء، وكثيرا ما يأخذ الإجابة غير الصحيحة.»[٢]

فقد كان رسول الله (ﷺ) يفسح للصحابة مجال التعلم وحرية الاستفسار في كل ما يتعلق بأمور الدين والدنيا؛ إذ «حرص النبي (ﷺ) على بناء سلوك ندي يكون نبراسا يستنير به العالم في قادم أيامه، ومن ثمة صياغة أنموذج في البناء الإنساني يكون قدوة ومثلا أعلى؛ هو في حقيقته مسؤولية تحملها ودافع عنها وعاش ومات من أجلها؛ من منطلق كونه رسولا خاتما ومكلفا برسالة عالمية محورها ووظيفتها الإنسان»[٣].

ويرجع أيضا للنبي الكريم (ﷺ) المستنير بنور الوحي الفضل الكبير في التركيز على منظومة القيم التي أسهمت في:

١- محمد بن عبد الله السحيم، القيم الحضارية في رسالة خير البرية (ﷺ)، ص ٥٧.
٢- يحيى ضاحي شطناوي، أثر السنة النبوية في بناء الشخصية الإسلامية، ص ٨٤.
٣- زبيدة الطيب، العلاقات الإنسانية في السنة النبوية الشريفة، ص ٣٣.

- بناء الجوهر الإنساني وتشكيل الشخصية وإصلاحها نفسيا وخلقيا وروحيا واجتماعيا، فيرغب بعمل كل ما هو مفيد وجميل لنفسه وللآخرين، وهذا يرفع التقدير الذاتي للإنسان.
- امتلاك رؤية واضحة لأهدافه الحالية والمستقبلية في هذه الحياة.
- تحسين أفكار الفرد ومعتقداته عن الحياة وما تؤول إليه.
- فهم الآخرين من حوله وتقبل الحياة والآخرين على اختلافهم.
- القدرة على التكيف الإيجابي مع ظروف الحياة، وهذا يعطيه إحساساً بالسعادة والرضا والقدرة على مواجهة التحديات والصعاب من حوله.
- توفير وسيلة علاجية ووقائية للفرد، فيصبح لديه الإحساس بالأمان لأنها تعمل على ضبط نفسه تجاه الشهوات والمحرمات ليصل إلى الغاية القصوى وهي الامتثال للأوامر الشرعية لينال رضا الله عز وجل في الدنيا والآخرة.»[1]

ثانيا: آثار منظومة القيم في بناء إنسانية الإنسان على مستوى المجتمع

من أجل حياة تسودها الأمن والاستقرار والتعاون والتعارف مع الذات والآخر، فإن الدين الإسلامي ممثلاً في السنة النبوية ارتكز على منظومة القيم لبناء إنسانية الإنسان، فغيابها ينعكس سلباً على الإنسان. ف«كان من آثار العدل تحقيق المساواة بين جميع المكونات البشرية بصرف النظر عن الجنس أو الدين أو اللون، وتحقيق الأمن والأمان ونشر المحبة والألفة والشعور بالإنصاف والرضا. وتراجع رافعات الإرهاب ومسوغاته كالأحقاد وسائر أشكال الكراهية والحسد وإحلال صفات الاحترام والود محلها. وهكذا تبرز العلاقة بين خلق وقيمة العدالة وبين

١- إندونيسيا خالد محمد حسون، القيم الإسلامية ودورها في تعزيز القيم الإنسانية لتطوير المجتمع، ص ١٢٨. بتصرف

البناء الإنساني الذي باشره النبي (ﷺ) في تجربته في إقامة المجتمع الإسلامي الأول؛ حيث لم تكن العدالة شعارات بقدر ما كانت تطبيقات وممارسات يومية يعيشها الناس في حياتهم.»[1]

فالسنة النبوية بتوجيهاتها الراشدة تحقق للإنسان إنسانيته وتحفظ مصالحه بعيدا عن الظلم وهضم الحقوق. بل من غاياتها جعل المسلمين كجسد واحد تجمعهم المحبة والألفة والتعاون، وتحفظ كيان المجتمع الإسلامي من التفرقة.

دون نسيان أن ببعثة الرسول (ﷺ) اكتملت مكارم الأخلاق التي كان لها الأثر العظيم في نهضة الأمة الإسلامية وفي رقي حضارتها، فمنظومة القيم هي البوصلة التي تدير دفة القيادة لمركب الحضارة، إذ كان للقيم بأنواعها سواء الإيمانية والخلقية والاجتماعية والعملية وبصفة عامة لمنظومة القيم المنبثقة من القرآن الكريم والسنة النبوية الدور الكبير في بناء إنسانية الإنسان على الإيمان والصدق والإخلاص والتعاون والتضحية وتطهيرها من الأنانية والكراهية ومن مختلف نزغات الشيطان. هذه القيم التي كان لاضطرابها واختلالها الأثر الكبير في الآفات المعاصرة التي أسهمت في محاربة الدين وطمس الهوية وفي التراجع الحضاري والاختراق الخارجي. وجعلت فئة من المسلمين تحارب القرآن الكريم والسنة النبوية وتشكك في قدسيتهما، وترى أنهما سببا تخلف المسلمين، وبالمقابل تلهث وراء الغرب لتقليده وإرضائه، في الوقت الذي نجد فئة من الغربيين تشهد على عظمة رسول الله (ﷺ) وعظمة الإسلام بصفة عامة، وترى أنهما السبيل الأوحد لإنقاذ البشرية. يقول وِل ديورَانت: «إذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا إن محمدًا (ﷺ) كان من أعظم عظماء التاريخ، فلقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير

١- زبيدة الطيب، العلاقات الإنسانية في السنة النبوية الشريفة، ص ٣٩.

الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحًا لم يدانه فيه أي مصلح في التاريخ كله... وقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية، ودين بلاده القديم، دينًا سهلاً واضحًا قويًا، وصرحا خلقيًا وقوامه البسالة والعزة القومية. واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مائة معركة، وفي قرن واحد أن ينشئ دولة عظيمة، وأن يبقى إلى يوم الناس هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم»[1].

الخاتمة

أولا: نتائج البحث

- حظيت منظومة القيم بمكانة مهمة في السنة النبوية، بوصفها من أهم المداخل الخالدة لبناء الإنسان النافع لنفسه ولمجتمعه ولمحيطه، وقد دلت على ربانيتها شواهد كثيرة من القرآن الكريم، والسنة النبوية التي كانت التطبيق العملي لهذه المنظومة، والتي تربى عليها الصحابة فصاروا قادة الأمة.
- تعددت القيم والمناهج التي انتهجها الرسول (ﷺ) لبناء إنسانية الإنسان، والتي لم تكن مجرد شعارات بل أمراً معيشاً. وقد استطاع بها الصادق الأمين محمد (ﷺ) نقل الإنسان من عبادة الحجارة والأوثان إلى بانٍ للحضارة والعمران، بعد أن حرر عقل هذا الإنسان من المعتقدات الفاسدة، وأصلح علاقته بالخالق ثم بالآخرين. فكان بناء إنسانية الإنسان في السنة النبوية أولى من بناء العمران، فخراب العمران أهون من ضياع الإنسان الصالح لذاته ولغيره.
- من المستفاد من السنة النبوية أن علينا أن نتصالح مع أنفسنا ومع غيرنا حتى نستطيع العيش جميعا في جو يسوده الأمن والسلم والتعايش بين الناس

١- وِل ديورَانت، قصة الحضارة، ١٣ / ٤٧.

كيفما كانت ألوانهم ومعتقداتهم وأعراقهم...

ثانيا: التوصيات

- على مختلف المؤسسات الاجتماعية والتعليمية والتربوية والإعلامية ومختلف المنابر إيلاء عناية بالغة للمنظومة القيمية الإسلامية في تربية الأبناء عليها، وإصلاح المفاهيم المغلوطة التي اكتسبوها في زمن العالم الذي صار قرية صغيرة.
- إن المسؤولية الكبيرة ملقاة على النخب المفكرة لاستخراج الجواهر الكامنة في القرآن الكريم والسنة النبوية من القيم الإسلامية لإعادة بناء إنسانية الإنسان، وإحياء ما رث منها بغية انتشال البشرية من وحل الرواسب الجاهلية القديمة والحديثة.
- ضرورة التعاون المؤسساتي بين الجامعات الاسلامية في ابراز دور السنة النبوية في عنايتها بالإنسان ودعم القيم الانسانية التي تعزز التعايش السلمي بين الشعوب.

لائحة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أثر السنة النبوية في بناء الشخصية الإسلامية، يحيى ضاحي شطناوي، دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجّلد ٣٧، العدد ١، ٢٠١٠.
- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزَّبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ.
- الجامع الكبير- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ١٩٩٨م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد ابن إسماعيل البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية: ١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م.
- شخصية المسلم كما يصوغها الكتاب والسنة، محمد علي الهاشمي، الطبعة الخامسة: ١٤١٤ه- ١٩٩٣م.

- شرح صحيح البخاري لابن بطال، أبو الحسن علي بن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد- السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- العلاقات الإنسانية في السنة النبوية الشريفة، زبيدة الطيب، مجلة الدّراسات الإسلامية، المجلد ٩، العدد١، جمادى الثانية ١٤٤٢هـ/ جانفي ٢٠٢١.
- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، موسى شاهين لاشين، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
- القيم الإسلامية ودورها في تعزيز القيم الإنسانية لتطوير المجتمع مع أنموذج دور جامعة الملك عبد العزيز في تعزيز القيم الأخلاقية، إندونيسيا خالد محمد حسون، مجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية المجلد ٦، العدد ١، كانون الثاني، يناير ٢٠٢٠م.
- القيم الحضارية في رسالة خير البرية (ﷺ)، محمد بن عبد الله السحيم، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٣٢هـ.
- المجتبى من السنن= السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، الطبعة الثانية، ١٤٠٦- ١٩٨٦.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
- مقال في الإنسان دراسة قرآنية، عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ»، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، مارس ١٩٦٩- محرم ١٣٨٩هـ.
- قصة الحضارة، وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت، تقديم: محيي الدّين صَابر، ترجمة: زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت- لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر- بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ.

المواقع الإلكترونية

- البناء القيمي في السيرة النبوية، حميد بن خيبش، طريق الإسلام، منذ ٢٠١٦-٠٣-٠٦، http://iswy.co/e16nav

United Arab Emirates
Al Wasl University - Dubai
College of Islamic Studies

Al-Mawel Journal

Specialized in Islamic Studies

A Peer Reviewed Journal - Annual

Issue No. 2

2023 CE - 1445 H